

الذي ليس بمجنون حتى لا يُحسن ضبط ما يتلقاه من الوحي عن جبريل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي رأى رسول الله جبريل ﴿بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي بمطلع الشمس الأعلى ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي وما محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿عَلَى الْعَيْبِ﴾ أي على ما يخبر به من الوحي إليه وغيره من الغيوب ﴿بِضُنِينِ﴾ أي بمتهم، وحينئذ يعلم أن هذا القرآن هو كلام الله بيقين لم يحصل فيه أدنى تبديل لكمال أهلية الملك المبلّغ وأهلية الرسول المتلقى، ويدل على أن هذا هو معنى الآية قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ هو نفي لقولهم: إنه لكهانة وسحر ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم فيما يسكلونه في أمر الرسول والقرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. فقوله ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾. تأكيد للمقصود من قوله: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ رداً على قولهم: أم به جنة.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: ليس المقصود من هذه الآيات تعداد فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، وجبريل عليه السلام حتى يقال لِمَ وصف الله جبريل بعدة أوصاف جميلة واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل المقصود هو تحقيق كون القرآن من كلام الله تعالى، وإنما وصف جبريل بعدة أوصاف جميلة تدفع الاشتباه في القرآن لكونه هو المتلقى له عن الله تعالى، أي فهو وارد من قول ملك تلقاه عن الله تعالى صفاته كذا وكذا وما هو بقول شيطان رجيم كما زعموا، فاحتاج الأمر في جبريل عليه السلام لزيادة الأوصاف الجميلة، واقتصر في جانب النبي صلى الله عليه وسلم، على نفي الجنون الذي زعموه، لأن ذلك كافٍ في حسن ضبط ما يتلقاه من القرآن عن جبريل عليه السلام مع علمهم بوفور عقله وكمال ذكائه وكثرة فضله واتصافه بسائر أوصاف الكمال، وإنما كان شكهم في أن هذا القرآن من قول شيطان رجيم، فنفى الله ذلك عنه وأثبت له العقل بنفي الجنون فقط لعدم الحاجة